وكان من الطبيعي والبحث ينظر فى حركة الحياة الأدبية ألا يقتصر على الشعر وحده ، وهو إذ بدأ بالنثر الفنى أخذ يسعى إلى أن يضع القرآن موضعه من نشأة النثر العربى قبله فى الجاهلية وتطور هذا النثر بعده فى الإسلام .. وشغل ذلك الفصلين الأولين .. وأما الفصل الثالث من هذه الفصول الثلاثة الأولى فهو لا يقتصر على النثر وحده أو على الشعر، وإنما يجمع بينهما لأنهما جناحا الأدب الذى لا يحلق بغيرهما كما لا يحلق بواحد منهما دون الآخر ، ومن هنا كان تقسيم العصور الأدبية فى نظر هذا البحث لابد أن يقوم على امتداد هذين الجناحين معاً .

فاذا سرت مع هذه الفصول الثلاثة حيث سار بها الحديث صاحبت العصر الجاهلى حتى نهايته .. لتعرف أن اندفاع حركة الحياة المتجددة كانت أقوى من قوة القديم وسلطانه .. وأن نفوذه مهما بدا عند هذا الرأى أو ذاك من آراء الباحثين .. فانه لن يكون غير ذلك النفوذ الذى تطويه لجة الحياة الجديدة فى تيارها ، وتحمله هذه الحياة كذلك تحت لوائها .. فتصطحبه دون أن تقضى عليه ، وهي بالإبقاء عليه .. تعلو به دون أن تنحدر تحته وتمتد به دون أن تتراجع خلفه .. فلم تكن تلك الحياة الجديدة فى حركتها لتقف عند أقدام الحياة الجاهلية ، فتكف عن الخطو .. أو تقع فى الأسر يكبلها .. وهي التى تلونت بأصباغ الثورة الروحية ، واصطبغت بألوان الأفق، ذلك الأفق الذى شهد الزلزال يهز أطراف الحياة .. كما هز فى القلب نبضها .. ورأى البركان تميد الأرض تحته .. ويشق البحر بأظاه . . حتى إذا ما سكن هذا وهدأ ذاك تفجرت ينابيع الشعر الجديد تدفع حركة الحياة الأدبية فوق جسر الزمن من شفا الحفرة الجاهلية إلى ضفاف السهول الإسلامية .

وعند هذه النقطة .. ينفسح الطريق .. ويتسع جانباه .. وتنفتح الأبواب على طول الطريق يمنة ويسرة .. لتشهد من خلال ذلك كله على مدى الفصول الثلاثة الأخيرة صوراً من بداية العصر الإسلامى وتأثير الإسلام فى الشعر بعد الذى نراه قد تم فى جانب النثر . أما الفن الشعرى ،